العرب
الثلاثاء 2020/01/21
السنة 42 العدد 11593

مواجهة التشدد الديني أولى مهمات المراكز الإسلامية في أوروبا

رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية: لا بديل عن المواجهة الفكرية للتطرف

نحو نشر الخطاب الوسطي

نادر أبوالفتوح
كاتب مصري

القاهرة – وجدت بعض الحكومات الأوروبية ضالتها في المراكز الإسلامية للعب الدور الأساسي في جهود التعاطي مع أزمة العائدين من مناطق التوتر في الشرق الأوسط، في ظل اقتناعها بأن الحلول الأمنية لن تمنع عناصر داعش من عودتهم إلى خلايا عنكبوتية نائمة قابلة للنشاط في أيّ وقت في بعض بلدانهم.

ودقّت عملية الابتزاز والخداع التي قام بها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان مؤخرا مع فرنسا وغيرها، ناقوس الخطر بقوة، فمن الممكن أن يتدفق الكثير من الإرهابيين على العديد من الدول الأوروبية، انتقاما أو رغبة في تشتيت الأنظار، أو لغيرها من الأهداف الكامنة التي يمكن أن تسبب إزعاجا لافتا.

ولذلك شكلت المؤسسات الأوروبية مؤخرا لجانا متخصصة لوضع آليات للتعامل مع الأزمة المحتملة للعائدين، ضمت في تشكيلها أئمة المراكز الإسلامية المعروفة بأفكارها الوسطية في خطوة لاقت ترحيبًا بين أوساط المسلمين، وهجومًا عنيفًا من اليمين المتطرف.

وفي هذا السياق قال مهاجري زيان، رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية، لـ"العرب"، إن تنسيق الحكومات مع المراكز الدينية في مواجهة التطرف يعدّ فرصة حقيقية لتصحيح صورة الإسلام ومواجهة الهجوم العنيف للتيارات اليمينية التي تضع جميع المسلمين في كفة واحدة.

ووفقًا لبيانات وكالة الشرطة التابعة للاتحاد الأوروبي "يوروبول"، فإن نحو 5 آلاف، أغلبهم من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا، غادروا بلدانهم للقتال في سوريا والعراق، وعاد منهم 1500، بينما يتراوح مصير الباقين بين القتل أو البقاء في آخر الجيوب المتبقية لداعش، أو والوقوع رهن بعض القوى لاستثمارهم عند اللزوم.

وأضاف زيان، في حوار أجرته معه "العرب" خلال زيارته الأخيرة إلى القاهرة التي التقى فيها مسؤولي الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية، أن اللجان التي تم تشكيلها تتولى وضع برامج تهدف لتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الجهاد وإعادة دمج العائدين في المجتمع .

وتؤكد بعض الدراسات الأمنية الأوروبية، أن المقاتلين في صفوف تنظيم داعش يشكلون مصدر تهديد كبير وبإمكانهم زعزعة استقرار أوروبا بأكملها، ما يحتاج إلى أفكار غير تقليدية للمواجهة، فوضعهم في مراكز الاحتجاز يجعلهم أكثر خطورة بإمكانية نشر أفكارهم بين المدانين بجرائم جنائية.

وأضاف زيان، أن حكومات أوروبية نظمت اجتماعات مكثفة بين رموز المراكز الإسلامية وخبراء علم النفس والاجتماع ومتخصصين في قضايا الرأي العام، تضمنت نقاشا مطوّلا حول سبل التعامل مع العائدين، وتوصلت في النهاية إلى اعتبار النواحي الفكرية السبيل الأول للمواجهة باعتبار التطرف فكرا تنبغي مواجهته بالفكر أيضًا.

وتمثل الاستعانة بأئمة المراكز الإسلامية ضمن اللجان المشكلة لمواجهة المقاتلين العائدين من صفوف داعش اعترافًا بأن المكوّن الإسلامي أصبح جزءًا من الحل، وليس جزءا من المشكلة كما يروّج اليمين المتطرف.

وتعتبر تلك الجهود بمثابة تبرئة للكثير من المراكز الإسلامية من تحمل مسؤولية نشر الفكر المتطرف بين شباب أوروبا، أو الاشتراك بأيّ صورة في الترويج لمفاهيم الجهاد المغلوطة، أو المسؤولية عن انضمام الآلاف من أبناء القارة إلى صفوف تنظيم داعش.

> تنسيق الحكومات الأوروبية مع المراكز الدينية في مواجهة التطرف يعدّ فرصة لتصحيح صورة الإسلام ومواجهة الهجوم العنيف للتيارات اليمينية التي تضع جميع المسلمين في كفة واحدة

وأوضح زيان أن اللجان الحكومية الجديدة تحظى بدعم منظمات المجتمع المدني والبرلمانات الأوروبية، فعودة المقاتلين أصبحت أمرا واقعا، والأزمة تغيرت حاليا من بحث أسباب الانضمام للجماعات المتطرفة إلى كيفية التعامل مع العائدين منهم.

ومنح الدعم الحكومي والمجتمعي للمراكز الإسلامية قدرة أكبر على مواجهة اتهامات اليمين المتطرف واقتناع المواطنين بأن اتهاماته سياسة في المقام الأول، مع تنامي الاقتناع بمنطقية حجج تلك المراكز وانتشار خطابها الوسطي الذي يدحض مزاعم المتطرفين.

وتسعى الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية إلى تفعيل الأهداف التي نشأت من أجلها منذ أربعة أعوام بمبادرة من شخصيات دعوية، وتحوّلها إلى المرجع الرئيسي للأئمة ورافد لنشر الأفكار الوسطية .

وتحظى المراكز الإسلامية التابعة للهيئة بدعم من المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة، ومنتدى تعزيز السلم بدولة الإمارات، وكذلك الأزهر ووزارة الأوقاف بمصر، ورابطة العالم الإسلامي، ومؤسسات دينية سعودية معروفة باعتدالها.

وأشار زيان إلى أن بعض الدول العربية تتبنى جهودا طيبة تساهم في تعزيز أدوار الهيئة، بنشر قضايا التسامح والتعايش السلمي وتصحيح صورة الإسلام في الغرب، ودعم المراكز الإسلامية في أوروبا لتؤدي دورها في مواجهة التطرف وتصحيح صورة الإسلام .

وأشاد بالتعاون المتواصل بين الهيئة والمؤسسات الدينية بالإمارات عبر المشاركة في منتديات تعزيز السلم والأخوّة الإنسانية، وزيارة مركز صواب بهدف الاستفادة من برامج مكافحة الفكر المتشدد، فالمؤسسات الدينية الإماراتية تتسم بأنها مرتبة وتعتمد على العقل في مواجهة التطرف ما يجعلها مناسبة للمجتمعات الأوروبية.

وناقش زيان في مصر إمكانية إيفاد أئمة للمراكز الإسلامية، إضافة إلى عقد دورات لأئمة أوروبا في أكاديمية التدريب بمصر للاستفادة من تجارب دار الإفتاء في مواجهة الفتاوى المتشددة .

وتعتزم الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية إطلاق برنامج جديد خلال شهر يناير الجاري في العديد من الدول منها فرنسا وهولندا وإسبانيا وإيطاليا والسويد وبلجيكا، يتضمن ندوات وورش عمل حول مواجهة الفكر المتطرف وتصحيح المفاهيم لدى الشباب العائد من داعش بدعم من الجهات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني.

مهاجري زيان

المراكز الإسلامية ينبغي أن تغتنم الفرصة لتصحيح صورة الإسلام

ويتزامن مع ذلك إطلاق مبادرات تحث أبناء المجتمعات المسلمة على الاندماج في البلاد التي يعيشون فيها، واحترام الحقوق والقوانين في مجتمعاتهم، والتواصل مع وسائل الإعلام الغربية لعرض برامج الهيئة المقبلة في مجال مكافحة التطرف.

ولفت مهاجري زيان، إلى أن المراكز الإسلامية ينبغي أن تغتنم الفرصة لتصحيح صورة الإسلام ومواجهة التطرف واستغلال تركيز الرأي العام ووسائل الإعلام الغربية على جهود تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الشباب العائد من بؤر التوتر، باعتبارها مهمة كبرى ترتبط بمصير المجتمع الغربي برمته.

وشدد على أن المراكز الإسلامية في أوروبا بحاجة لدعم المؤسسات الرسمية العربية من خلال إيفاد الأئمة الذين يجيدون اللغات الأجنبية المختلفة وليس الإنجليزية فقط، إلى جانب ترجمة الكتب والمطبوعات التي تحصّن الشباب وتحمل الفكر الوسطي المستنير، وتجسد قيم المواطنة والتعايش والتسامح، لأن تلك القضايا أهمّ ما يحتاجه المسلم في الغرب.

وأكد زيان مهاجري، أن تجنيد الشباب يتم عبر وسائل التواصل الاجتماعي لأسباب تتعلق بضعف التوعية الدينية التي تقوم بها المراكز الإسلامية في بعض الدول، وتعمل الهيئة حاليا على مواجهة تلك المشكلة بتطوير الأداء الدعوي بشكل عام، للقيام بأدوار أكبر في مواجهة المتطرفين.

وتبقى مهمة مواجهة المتشددين المنتمين لداعش وغيره في مقدمة المهام للمراكز الإسلامية في أوروبا، لأن التصدي لهذه المعركة يعزز حضورها ويؤكد قدراتها.

مسجد باريس اندماج معلن وتطرف مضمر

إثارة قضية الإسلام في أوروبا، وفي فرنسا تحديدا، تنفتح على أكثر من إشكالية ومن الجهتين، من جهة الرؤية الإسلامية ومن جهة التصور الأوروبي. الإسلام في فرنسا أو الإسلام الفرنسي، تحيل على قضايا الاندماج والأسلمة، كما تؤدي إلى شيوع الإسلاموفوبيا والعنصرية. وفي كل هذه القضايا يقع على كاهل المسلمين في فرنسا دور مهم يبدأ بوعيهم بمواطنتهم الفرنسية وما تقتضيه من واجبات، وتصل إلى بيان المسافة من الأفكار المتطرفة التي وصلت شظاياها إلى أوروبا وإلى المسلمين أنفسهم.

حميد زناز
كاتب جزائري

تلعب المؤسسات الإسلامية دورا طليعيا في تعميق اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية، وتمثّلها للقوانين الأوروبية ووعيها بالمواطنة، لكن بعض المؤسسات والمساجد والمراكز تمارس ازدواجية مفضوحة بمحاولة التمايز عن التيارات المتطرفة وفي الوقت نفسه تردّد أفكارا لا تعترف بالآخر وتلغيه.

بعد خمس سنوات كنائب عميد، وثمان وعشرين سنة كاملة على رأس عمادة مسجد باريس أعلن دليل بوبكر استقالته ليترك المنصب لشمس الدين حافظ معاونه منذ 20 سنة. وبغض النظر عن علاقته بالنظام الجزائري الذي يموّل هذا المسجد منذ 1992 بهدف التحكم في الجزائريين المقيمين في فرنسا، ماذا قدم دليل بوبكر للجالية المسلمة منذ تعيينه، وهل عمل على اندماجها في المجتمع الفرنسي؟

اعتاد الفرنسيون على خطاب عميد مسجد باريس دليل بوبكر المختلف، شكليا، عن خطابات الإسلاميين، واكتسب الرجل المقرب من السلطات الفرنسية منذ عقود تعاطفا من قطاع واسع من المتابعين للشأن الإسلامي في فرنسا. ومقارنة بالآخرين يبدو متسامحا وصاحب رؤية متوافقة مع قيم الجمهورية الفرنسية. ولئن انتبه البعض إلى الخطاب المزدوج لتلك المنظمات الإسلامية التي تزعم تمثيل المسلمين في فرنسا، فإن الكثيرين لم يتفطنوا إلى خطاب بوبكر الملغّم، المشرف على أقدم مسجد بفرنسا منذ عام 1992 وهو المسجد المركزي الذي يشرف على 700 مسجد بفرنسا.

اعتبرَ مسجد باريس رمز الإسلام في فرنسا وكثيرا ما صرّح دليل بوبكر وفي مناسبات عديدة أنه يريد تأسيس إسلام بألوان فرنسا، فهل يؤمن الرجل حقيقة بما يزعم؟ أم أن الأمر مجرد كلام موجه للاستهلاك الإعلامي من أجل الهروب من تهمة التطرف التي تلاحق كل العاملين في الشأن الإسلامي في فرنسا بعد اعتداءات عام 2015 الإرهابية وما تلاها؟

إذا ما بدأنا بأهم قيمة من قيم الجمهورية الفرنسية المتمثلة في مسألة "احترام الآخر" فإننا نجدها لدى بوبكر مجرّد واجهة وتمويه، مثلما هو الشأن لدى جميع الإسلاميين. ففي أكثر من مقالة له على الموقع الرسمي لمسجد باريس، نجده يزدري الديانات الأخرى ويصوّب نار حقده على اليهودية بشكل خاص. ولكننا نجده في الوقت نفسه يشتكي في الإعلام من الإسلاموفوبيا المتصاعدة. في مقال تحت عنوان "معرفة الإسلام"، لا ينتقد التعاليم المسيحية فحسب، بل يسخر منها ويصنّف بعضها في خانة الحقد والعنصرية والجشع. ويصف الحواريين بالسذاجة والجهل. وفي مقال آخر خصصه للنبي إبراهيم وصل إلى نتيجة مفادها أن التقاليد اليهودية لا يمكن أن تصدر سوى عن كذب واع ومقصود وذلك بعد أن وصف محتوى التوراة بالمزيّف والمزوّر.

المفارقة أنّ دليل بوبكر يكتب هذه الأفكار، ولا يملّ من الحديث في الوقت نفسه عن الحوار بين الديانات وضرورة التقاء اليهود والمسيحيين والمسلمين لنشر ثقافة التسامح في فرنسا. فهل يكون ذلك بالقول إن اليهود قد حرّفوا النصوص المقدسة قصدا؟ ألا يمثل هذا عملا تحريضيا، ولو بشكل غير مقصود، ضد مواطنيه اليهود في مناخ موبوء بالإسلاميين واليمين المتطرف؟ ولكي نحدّد هوية دليل بوبكر الحقيقية ينبغي أن نتذكر أن مجلس الديانة الإسلامية الذي يترأسه يرفض حرية الضمير والاعتقاد، وأن مسجد باريس الذي يترأسه أيضا حاول أن ينشر أفكارا معادية للديانات الأخرى غير الإسلام، وحاول منع الكاتب الشهير سلمان رشدي من دخول فرنسا عام 1996.

وفي مقالة نشرها في أسبوعية "لوبوان" الفرنسية منذ أشهر أماط دليل بوبكر اللثام عن وجهه الحقيقي حينما راح يكرّر خطاب الإخوان المسلمين الذين يحاولون إشعار الفرنسيين بالذنب وتقديم الجاليات المسلمة على أنها ضحية للعنصرية في فرنسا، في حين أنه يعلم عدم وجود أدنى تفرقة في القوانين الفرنسية بين الفرنسيين مهما كانت دياناتهم بل وحتى بين الفرنسيين والأجانب المقيمين.

وقد استعار من الإخوان كلمة "الإسلاموفوبيا" لكي يجعل كلّ من يتصدى للدعوة لتطبيق الشريعة عنصريا يكره المسلمين، في حين أن القانون الفرنسي واضح في الأمر فكل من يحرّض على الكراهية يكون مصيره الوقوف أمام المحاكم. ويختم مقالته كاتبا "بدل أن نغذي خوفا لا عقلانيا ضد المسلمين، ألم يحن الوقت لدعم مسلمي فرنسا المدانين قبل محاكمتهم؟".

ألم يحن الوقت ليتخلص مسلمو فرنسا من كل الإسلاميين، من قبيل مسجد باريس والإخوان المسلمين والسلفيين، الذين يعملون على فصلهم عمن يقاسمونهم المواطنة؟

فصل المسلمين عن مواطنتهم